النكبات ومضامينها الشعرية عصر الطوائف في الأندلس

.....

أ.م.د.خالد شكر محمود

جامعة سامراء – كلية الآداب- قسم اللغة العربية

الملخص

تناول البحث النكبات الكبرى في الأندلس عصر الطوائف والتي شملت نكبة بني عياد ، ونكبة بني الافطس ، ونكبة ذي النون اذا تمخض عنها مضامين شعرية تفيض بالعواطف الجياشة في وصف المأسات التي صلت بهذه الدول ، وهي أشعار عبرت بصدق عن هذه الأساة .

كلمات مفتاحية: نكبات، الخطوب، الأصل، المحتد ،الشجاعة، الذل، الشكوى، التشخيص، المرابطون، القيد، العز، المجد، السجن ، الأسى، العاطفة، قلب، الطوائف

The catastrophes and their poetic conclusions in the andallusion poetry in sect period

Asst.Prof.Khalid shukur Mahmood

College of Arts

Abstract

The research deals with the magor catastrophes in Andalusia the ear of sect ,which include the catastrophe of bani Ayaad ,and the catastrophe of the Al-Aft as and the catastrophe of the Al-Noon , as it is resulted in poetic contents overflowing with emotional passions in describing the tragedy that befell these countries, a notice that sincerely expressed thin tragedy.

Keywords: Catastrophes. Calamities .origin. courage .humility. The complaint Diagnosis . Almurabetoon. . personification. jail. pride. glory. prison. pssion. heart. Scts.

المقدمة

الحمدُ للهِ الذي رفعَ أقوامًا ووضعَ آخرينَ والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمدٍ ﷺ وعلى آلِهِ وصحبهِ وحزبهِ وجندهِ أجمعين.

أمّا بعد ..

فإنّ شعرَ النكبةِ قد شكّلَ حضورًا مثيرًا في شعرِنا العربي منذ بداياتهِ الأولى ابتداءً بالعصرِ الجاهلي ومرورًا بالعصرِ الإسلامي، والأموي، والعباسي وحتى عصرنا الحديث والمعاصر؛ لأنَّ الويلات، والمآسي، والخطوب ملازمةٌ لهذه الأمّة في كلّ عصورها، لذا كانَ الشعرُ سجلاً حافلاً لهذه الأحداثِ الجسام التي تدل على أحساسِ الشاعر العربي، والمحن التي تَحدثُ مِنْ حولهِ والتي كانَ فيها على الدوام يظهرُ الصدقُ الفنيّ في هذا اللون الشعري، وعلى الرغم من الدراسات الكثيرة التي تناولت شعر النكبات إلا أنَّ دراستنا قد ركّزتْ على مضامين شعرِ النكباتِ في عصرِ الطوائف والتي شملتْ شعرَ الوصفِ، والرثاء أو ما يسمَى بـ(رثاء المدن والممالك الزائلة) والشكوى، إلا أنّنا وجدناهُ ينماز في أنَّ معظمَ الأشعارِ النكبويةِ كانتْ تُقالُ والملكُ أو الأميرُ على قيدِ الحياةِ سواءً أكانَ محاصَراً أو مسجوناً، فيبقى الشاعرُ يسجلُ أحداثَ حياتهِ بنفسهِ أو يُوصي بكتابتِها على قبرهِ بعدَ وفاتهِ، ويُظهرُ فيهِ اللوعةَ، والألمَ، ومحاولةِ نيلِ الاستعطافِ والرحمةِ مِنَ المتلقّي، وفي أحيانٍ كثيرةٍ نجدُ ذلكَ التجاذبَ والامتزاجَ بين الشاعرِ والمتلقّي، فيجعلُ المتلقَي يعيشُ أحداثَ النكبةِ يحسُّ وكأنَّها ماثلةٌ أمامهُ، والدراسةُ ركّزتْ أيضًا على النكباتِ الكبرى في نهايةِ عصرِ الطوائفِ وبدايةِ عصرِ المرابطينَ؛ لأنَّها أحداثٌ عظامٌ سجّلها الشعراءُ بقصائد رائعةٍ تنمُّ عن اللوعةِ والأسى، لذا جاءتْ الدراسةُ بتمهيدٍ تحدثتُ فيهِ عن ماهيّة المصطلح، وجاءَ القسمُ الأولُ للحديثِ عن النكباتِ الكبرى في عصرِ الطوائفِ وهي نكبةُ بني عباد ونكبةُ بني الأفطس و نكبةُ بني صمادح. أمّا القسمُ الثاني فكانَ عنوانه المضامينَ الشعرية في شعرِ النكباتِ وضمَّ ثلاثةَ أقسامٍ أيضًا، وجاءَ القسمُ الأولُ الوصفَ، والقسمُ الثاني الرثاءَ، والثالثُ الشكوى. وبعدَ ذلكَ كانتْ خاتمةُ البحثِ لخّصنا فيها أهمَ النتائج التي توصّلَ إليها البحثُ ، وأخيرًا قائمةُ المصادر والمراجع.

التمهيد

قبلَ الخوضِ في مصطلحِ النكبةِ لابدَّ مِنَ الإشارةِ إلى دلالةِ اللفظةِ في اللغةِ والاصطلاحِ.

فالنكبةُ لغةً: يُقالُ (نَكَبَ) عن الطريقِ إذا عدلَ عنهُ[١] ونكبَ عنهُ (تنكيباً) ، وتنكّبَ عنهُ (تنكيباً) أي: مالَ، فهوَ (منكوبٌ) و(المِنكَب) كالمجلسِ، مجمعُ العضدِ والكتفِ)[٢] ويقالُ: (أصابتهُ نكبةٌ مِنَ الدهرِ: أي جانحهُ، والمائلُ ناكبٌ والمصابُ منكوبٌ)[٣]، أصابتهُ نكبةٌ أي: صدمةٌ مِنَ الدَّهرِ)[٤].

أما النكبةُ اصطلاحًا: فلمْ يبعدْ المعنى الاصطلاحي للكلمةِ كثيرًا عن المعنى اللغوي، فهوَ (يُطلقُ) على كلّ المآسي الفرديةِ والجماعيةِ، وعلى الفجائعِ التي تصيبُ مظاهرَ الحضارةِ والعمران)[٥] .

ويمكنُ القولُ: بأنّها الحوادث، والخطوب، والمصائب التي حلّتْ بالبلدانِ، والأفرادِ، والمدن ، وكانَ لها الوقع المؤثر في نفسيّةِ الإنسانِ بوجهٍ عامٍ ونفسيةِ الشعراء بوجهٍ خاص، فراحوا يعبرونَ عنها بأشعارٍ تفيضُ باللوعةِ، والألمِ، والحزنِ، فتنفطرُ لها القلوبُ القاسيةُ، ويـمثّلُ فيها الصدقُ العاطفيُّ، والوفاءُ جانبًا مهمًا منها، والنكباتُ في الأندلسِ كثيرةٌ ومتنوعةٌ، ولا نغالي إذا قلنا: إنَّ نكبةَ العربِ المسلمينَ في الأندلسِ لا تدانيها نكبةٌ في التاريخ، وذلك لأنَّ الاندلسَ حين دخلها العربُ المسلمونَ عاملوا أهلَها بالمبادئ التي جاءَ بها الدينُ الحنيفُ، فأُعطيتْ الحرياتُ لغيرِ المسلمينَ في ممارسةِ طقوسهم الدينيةِ والاجتماعيةِ[٦]، إلاّ أنَّ النصارى والاوربيين حين دخلوها لم يتركوا سترًا إلّا هتكوهُ ولا مسلماً إلّا قتلوهُ، وقُضيَ على لغتِهم العربية ودينهم الحنيف ولم بيقَ إنسانٌ في الأندلسِ يتكلمُ العربيةَ أو يدينُ بالإسلامِ، فكانتْ طامةً كبرى دلّتْ على الحقدِ الأعمى الذي ينادي بهِ أصحابُ العدلِ والمساواةِ وما تنادي به المسيحيةُ المزيفةُ من نشرِ العدلِ والسلامِ في ربوعِ الأرضِ، فكلّه كذبٌ وافتراءٌ يتبجحُ بهِ الأوربيونَ وغيرِهم ظنًا منهمْ أنَّ هذه الاكاذيبَ قد تطلي على الشعوبِ المنكوبةِ والمغلوبةِ على أمرِها.

وقد قسّمَ بعضُ الباحثينَ[٧] المآسي الجماعيةَ التي يحيلُ إليها المصطلحُ على ما يأتي:

١- نكباتُ الأقوام والممالك والحضارات .

٢- نكباتُ المدنِ.

٣- نكباتُ الكوارث الطبيعيةِ .

وقد انصبّتْ الدراساتُ الأدبيةُ على دراسةِ نكباتِ الأقوامِ والممالك والحضارات ونكباتِ المدنِ[٨]، وأُهملَ اللونُ الاخيرُ؛ لأنَّه كما نرى أنَّه ليسَ مِنْ فعلِ الإنسانِ والكلامُ فيهِ يُعدُّ مِنْ قبيلِ عدمِ الرّضا بالقدرِ الذي هو ركنٌ من أركانِ الإيمانِ.

أولاً: نكبةُ بني عباد في اشبيلية

يُعدُّ بنو عباد مِنْ أعظمِ ملوكِ الطوائف في اشبيلية وأقواهم وأكثرهم نفوذًا، وكانَ بلاطهم مِنْ ألمعِ بلاطاتِ هذه الممالك وأبهاها واحتضنتْ أشهرَ شعراءِ العصرِ وأعظمَ علمائِهِ، لِمَا انمازَ بِهِ أميرُها مِنْ معرفةٍ ودرايةٍ في فنونِ الأدبِ، وتمرسٍ في نظمِ الشعرِ وتمكّنٍ من أصولِ النقدِ، ولِمَا عُرِفَ بِهِ مِنْ سماحةِ طبعٍ وجودِ يدٍ[٩]، وقد شغلَ حيّزًا واسعًا في أذهانِ الشعراءِ والكتّابِ ونالَ المدحَ والثناءَ والعطفَ على مصيرِهِ، قالَ ابنُ الأبّارِ: (كانَ المعتمدُ مِنَ الملوكِ الفضلاءِ والشجعانِ والعقلاءِ والأجوادِ والأسخياءِ والمأمونين، عقيقَ السيفِ والذيلِ، مخالفًا لأبيهِ في القهرِ والسفكِ والأخذِ بأدنى سعايةٍ)[١٠] ورأى عبدُ الواحدِ المراكشي أنَّه (لا يعلمُ خصلةً تُحمدُ في رجلٍ إلّا وهبهُ اللهُ منها أوفرَ قسمٍ)[١١].

إنَّ عراقةَ الأصلِ ونبلَ المحتدِ وحميةَ العربي تجلّتْ في موقفهِ مِنْ إيقافِ ضغطِ المسيحيينَ في الشمالِ، فكانَ أولُ مَنْ اقترحَ دعوةَ المرابطينَ لمواجهةِ جيوشِ النصارى الزاحفةِ[١٢]، وحينَ حذّرَ مِنْ أمرِ هذهِ الدعوةِ قالَ مقولتَهُ الشهيرةَ: (رعيُّ الجمالِ غيرٌ عن رعي الخنازير)[١٣]، وحينَ عبرَ المرابطونَ إلى الأندلسِ أولَ مرةٍ سنةَ (٤٧٩هـ) انظّمتْ إليهم الجيوش الأندلسية، فوقعتْ المعركةُ الكبرى بالقربِ مِنْ بطليموس في مكانٍ يُدعى بـ(الزلاقةِ) واحتدمَ الصراعُ بينَ جيشِ ابن تاشفين والأندلسيين من جهة وبين جيش الفونسو السادس من جهةٍ أخرى، فهُزمَ جيشُ الفونسو شرَّ هزيمةٍ ثمّ عادَ ابنُ تاشفين إلى المغربِ تاركًا بعضَ الحامياتِ في الأندلسِ، ثمَّ بدا الخطرُ الاسباني مِنْ جديدٍ يداهمُ المدنَ والقصبات مرةً أخرى، فتعالتْ صيحاتُ الاستغاثةِ مرةً أخرى بالمرابطينَ، فتمَّ العبورُ الثاني سنة (٤٨١هـ)[١٤]، ثمّ قفلَ بعدَها راجعًا إلى المغربِ بعدَ أنْ رأى الفرقةَ والتشرذمَ بينَ الملوكِ الطوائف وما هم فيهِ

مِنْ تناحرٍ، وتركَ خلفَهُ فرسانًا مِنْ ذوي اللِثامِ يرابطونَ في الأندلسِ[١٥]. وفي سنةِ (٤٨٣ه) جازَ مرةً ثالثةً وقد عزمَ في هذه المرةِ على القضاءِ على دولِ الطوائفِ في الأندلسِ بعدَ أنْ آلَهُ تحالُفهم مع الفونسو السادس، فاستشارَ الفقهاءَ، فأفتوه بضرورةِ التخلصَ مِنْ دولِ الطوائفِ، فاستجابَ لفتواهم وأخذَ يتخلصُ منهم واحدًا تلوَ الآخر فبدأ بالمعتمد بن عباد، فاندفعتْ جيوشُ المرابطينَ إلى (رند) واحتلتها وقتلتْ ابنه الراضي ، ثم اندفعتْ إلى قرطبة فاقتحمتها وقتلتْ ابنَهُ المأمون، ثم اتجهتْ لفتحِ آخر معاقل بني عباد وهي اشبيلية فدخلتها سنة (٤٨٤هـ) ووصلتْ هذه الجيوش إلى قصرِ المعتمدِ وأحاطتْ بهِ مِنْ كلّ جانبٍ فآثرَ الاستسلام فقُبضَ عليهِ وأُحكمَ وثاقه وسِيقَ مع إفرادِ أسرتهِ ثمّ عبرَ المضيق وسُجنَ في أغمات في المغرب وبقي في سجنهِ إلى أنْ وافاه الأجلُ سنة (٤٨٨هـ)[١٦].

إنَّ أهميةَ شعر نكبة بني عباد تكمنُ في تخليدها من (صاحب النكبة) (المعتمد بن عباد) فقد سجّلَ أحداثها بشكلٍ مفصّلٍ، مسجلاً فيها منذ اللحظات الأولى لأسرهِ وحتى اللحظاتِ الأخيرة مِنْ حياتهِ، لذا نرى روحَ المجاهدةِ والمقاومةِ لعدوٍ شرسٍ قد تمكّنَ مِنْ جسدهِ فقيّد وعذّب إلا أنَّ روحَه بقيتْ أبيةً صابرةً مجاهدةً شريفةً ، إذ يقول[١٧]:

إنْ يَسْلُبِ القَوْمُ العِدَا مُلْكِيْ وَتُسَلِّمُنِي الجُمُوعُ

فَالقَلْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ لَمْ تُسَلِمِ القَلْبَ الضُّلُوعُ

لَمْ اسْتَلِبْ شَرَفَ الطِّبَا عِ، أيُسْلَبُ الشَّرَفُ الرَّفِيْعُ

قَدْ رُمْتُ نِزَالَهُمْ ألا تُحَصِنُنِيْ الدُّرُوْعُ

إنّها عزيمةُ الفارسِ الذي قاتلَ وبذلَ نفسَهُ الأبيّةَ التي لا تخضعُ للذُّلِ ولا تستلينُ أمامَ الطُّغاةِ

ويبدو أنَّ الشاعرَ قد أفادَ مِنْ معطياتِ الآيةِ القرآنيةِ التي يقولُ اللهُ تعالى فيها: ﴿وإنَّ لَكَ لأجرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾[١٨] حرصًا منه على تقويةِ أشعاره بالبراهين والآيات القرآنية:

وَشَمَالِي لِقَبْضِ كُلّ عَنَانٍ يَقْحُمُ الخَيْلَ في مَجَالِ الرّمّاحِ

وَأَنَا اليَوْمَ رَهْنُ أَسْرٍ وَفَقْرٍ مُسْتَبَاحُ الحِمَى مَهِيْضُ الجَنَاحِ

فقد قارنَ الشاعرُ بينَ حياتِهِ قبلَ الأسرِ حيثُ الكرمُ والبذلُ والفروسيةُ والشجاعةُ، وما آلَ إليهِ مصيرُه بعدَ الأسرِ مِنْ ذلٍ وهوانٍ. وكأنّه أصابَه سهمٌ مِنَ الدهرِ فأرداهُ وملكهُ وأحالَ حياةَ النعيمِ والترفِ إلى ضيقِ العيشِ وذلّ القيدِ، فأظهرَ شكواهُ منهُ، وقد بدا متماسكاً في بدايةِ نكبتِهِ قويَّ الاعتمادِ، عالي الهمة، فيفخرُ بمجدِ آبائِهِ وأجدادِهِ ، إذ يقول[١٩]:

مَنْ عَزَا المَجْدُ إلَيْنَا قَدْ صَدَقْ لَمْ يَلُمْ مَنْ قَالَ مَهْمَا قَالَ حَقْ

مَجْدُنَا الشَّمْسُ سَنَاءً وَسَنَا مَنْ يَرُمْ سِتْرَ سَنَاهَا لَمْ يَطِقْ

أَيُّهَا النَّاعِيْ إلَيْنَا مَجْدُنَا هَلْ يَضُرُّ المَجْدُ إنْ خطبٌ طرقْ

لا تُرِعْ للدَّمْعِ فِيْ أمَاقِنَا مَزجتهُ بِدَمِ أَيْدِي الخرقْ

حَنقَ الدّهرُ عَلَيْنَا فَسَطَا وَكذَا الدَّهْرُ عَلَى النَّحْرِ حَنقْ

وَقَدِيْمًا مَعنَى مِنَّا مُلُوك شهَرُو شُهْرَةَ الشَّمْسِ تَجَلّتْ فِي الأُفُقْ

نَحْنُ ابْنَاءُ بَنِيْ مَاء السَّماءِ عَوْنَا نَطْمَحُ الحَاظ الحَدِقْ

إنّها الحماسةُ التي تبدو ظاهرةً على شعرِ المعتمدِ مِنْ خلالِ الفخرِ بمجدِهِ التليد وحسبه العتيد ونسبه إلى العربِ، إلا أنَّ ذلك لم يكن ليغنِ عنه شيئاً أمامَ الجبروتِ والظلمِ، فتبدأ عزيمتُه تخورُ وتكلُّ همتُه، فيستسلمَ لحكمِ الدهرِ وسطوته، فيسترجعَ في ذاكرتِهِ صورَ قصورِهِ الحالمة ومجالس أنسِهِ واجتماعِهِ مع رفاقِهِ، فتترقرق الدموعُ وتنهال العبراتُ، فيقول[٢٠]:

بَكَى المُبَارَكُ فِي اثرِ عبادِ بَكَى عَلَى أَثَرِ غِزْلانٍ وآسَادِ

بَكَتْ ثريَّاهُ لاغْمَّتْ كَواكُبُها بِمثلِ نوء الثّريا الرائح الغادي

بَكَى الوَحِيْدُ، بَكَى الزَّاهِي وَقُبتهِ والنّهرَ والتَّاجُ كُلُّ ذُلهُ بَادِي

ولعلّ الجديدَ في هذا اللونِ الشعري نقل الشاعرِ لعواطفهِ وأحاسيسهِ إلى الطبيعةِ والجمادات وهو ما يسمّى (بالتشخيص) (٢١) فيجعل القصورَ تنديهِ وتبكيهِ بدلاً مِنْ أنْ يبكيها ويندبها، وتبقى تلك الصورة العالقة في ذهنه، منبتًا به الحزن والمرارة على مجده الذاهب، فيعصف به الألم، ليقول(٢٢) :

غَرِيْبٌ بَأرض المغربينِ أسِيرُ سَيَبْكِي عَلَيْهِ مَنْبَرٌ وَسَرِيْرُ

وَتَنْدبُه البيضُ الصَّوارمُ والقنَا وَيَنْهَلُ دَمْع بَيْنَهُنَ غَزِيْرُ

سَيُبْكِيْهِ فِي زَاهِيَةِ الزَّاهِرِ والنّدى وطلابه والعرفُ ثم نَكِيْرُ

إذا قِيلَ فِي أغْمَاتٍ قَدْ مَاتَ جُودُهُ فَمَا يُرْتَجَى للجُّودِ بَعْد نُشورُ

ويبقى الأملُ يدورُ في مخيلته للخلاصِ ويتمنى أنْ يعودَ إلى ملكهِ ولو لليلةٍ واحدةٍ يطفئ فيها ضمأ الذلّ والأسرِ، فيقول(٢٣) :

يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أبِيْتَنَّ لَيْلَةً أمَامِي وخَلْفِي رَوضَةٌ وغَدِيرُ

بمنيةِ الزَّيْتُون مورثة العُلا تُغَنّي قيان أو تدنُ طُيُورُ

بِزَاهِرِهَا السّامي الذرا جَادَه الحيا تُشِيْرُ الثُّرَيَّا نَحونا وتُشِيْرُ

وكان مِنْ جراء تلك النكبة أنْ اسودّت تباشيرُ الصباح في عينيّ ابن اللبانة، فأصبحَ الضياءُ سوادًا حالكًا ، يقول(٢٤):

أَسْتَودُعُ اللهَ أرْضَاً عِنْدَمَا وضَحَتْ بَشَائرُ الصُّبحِ فيها بُدلتْ حَلكا

كانَ المُؤيدُ بُسْتَاناً بِسَـــــــاحَتِها يَجْنِي النَّعيمُ في عَلْيَائِها فَلكــا

فِي أَمْرِهِ لُملوكِ الدَّهـــــــرِ مُعْتَبَرٌ فليسَ يغترُّ ذو مُلْكٍ بِما مَلكَــا

تَبكيهِ مِنْ جَبلٍ خـــُـــرتْ قواعـــدُه   فكانَ مَنْ كانَ في بَطْحَائهِ هَلكَا

إنَّ الوفاءَ الذي اكتنفتْ به نفسُ الشاعر لهذا الممدوح بلغ مستويات عليا، فتصورَ الشاعرُ الأندلس بعد رحيله بما تحمله مِنْ مباهج الدنيا وإشراقة ضوئها الفجري أصبحت حالكة السواد في عينيه، ويصل الشاعرُ إلى ما يشبه الحكمة والموعظة وهي أنَّ هذه النكبة فيها من العظة والعبرة الكثير ليتعظ منها الملوك الذي اغتروا بملكهم وجاههم.

إنَّ حبلَ المودة الصافية ظلت تلازم ابن اللبانة وموقفه من المعتمد، حتى بعد افتقاره في الأسر[٢٥] فهو لا يطلب منه مالاً ولا جاهًا لكنه الوفاء، يقول[٢٦]:

تَركتُ هَوَاكَ وَهوَ شَقِيقُ دِيني   لَئِنْ شّقَتْ برودٍ عَنْ غـــدورِ

ولا كنتُ الطليقُ مِـــــنَ الرَّزايا   لَئِنْ أصْبَحَت أجْحَف بالأسيرِ

جَذِيْمَة أنْتَ والزبـــــــــاء خَانَتْ   ومَا أنَا مَنْ يَقْصر عَنْ قَصِيرِ

تَصرف في النَّدى حيلَ المَعَالي   فَتَسْمَح مِنْ قَلِيْل بالكثيـــــــرِ

وأعْجَبُ مِنْكَ أنَّكَ فِي ظـَــــلامٍ   وَتَرفعُ للعفاةِ مَنـــَــــار نُورِي

ومن الشعراء الذين تمسكوا بحبل الوفاءِ والاخلاصِ لهذا الامير المنكوب بعد زوالِ ملكهِ ابن حمديس الصقلي الذي التجأ إليه في اشبيلية فأكرمه وأحسنَ إليه، فلم ينسَ ذلك ولحقَ به في اغمات يزوره ويراسله، يقول[٢٧]:

ابادِ حياتي الموت انْ كُنْت سَاليَا   وأنْتَ مُقِيم في قُيـــُــودك عانيا

وإنْ لَمْ ابار المزن قطرا بأدْمـــــع   عَلَيْك فَلا سقيتْ مِنْها الغَوادِيَـا

تعريتُ مِنْ قلبي الذي كانَ ضَاحِكاً   فَمَا لَبَسَ الأجْفَان إلا بـــَـوَاكيا

وهل أنا إلا سَائِل عَنْكَ ســَــــــامِع   أحاديث تبكي بالنَّجِيع المعاليا

فالشاعرُ يصورُ حياته المليئة بالحزنِ والأسى التي خلفتها النكبة بعد وقوعه في الأسر، فيسكبَ الدموعَ الغزارَ ويعمّ الحزن، وتلحف الأجفان بالبكاء، ويتحول كلّ شيءٍ إلى حزنٍ مدقعٍ لا يفارق مخيلته، التي أولعتْ بمآثره وسجاياها، فيرى أنَّ السجنَ والقيدَ مصنع الرجال العظام، يقول[٢٨] :

حُسامُ كفاحٍ باتَ في السجن مغمدا وأصبح مِنْ حلي الرياســـة عَاريا

وليثُ حروبٍ فيهِ أعدو برقــــــــــةٍ وَقَدْ كانَ مِقْدامًا عَلَى الليث عاديا

فيَا جبلاً هدَّ الزمانُ هضابــــــَـــــهُ أمّا كنت بالتمكين فــــي العزّراسيا

وَقَدْ يعقلُ الأبطالُ خَوْفَ صيالــــها ويحكمُ تثقيف الأُســـُـــود الضَّوارِيَا

فالأبيات تنبضُ بذكرِ الممدوح مِنْ شجاعةٍ وإقدامٍ، وعظمةٍ والتي يوافق فيها رأي ابن رشيق القيرواني في العمدة لقوله والصفات التي يمتدح بها الناس أربع وهي: (العقلُ، والعفّةُ، والعدلُ، والشجاعةُ)[٢٩]،

وهو رأي لا يخلو مِنَ الصَّواب إلا أنَّ تغليب النكبة الجماعية على الفردية فيه غلوٌ ومبالغةٌ، فالكثير مِنَ النكبات الجماعية نجدُ فيها تأثيرًا عاطفيًا أكثر مِنَ النكبة الفردية.

ثانيًا : نكبة بني الأفطس في بطليوس

ومِنَ الممالك الأندلسية التي حظيت بنصيبٍ وافرٍ في الشعر الأندلسي (مملكة بني الأفطس في بطليوس، وقد حكمها بني الأفطس، ومنهم (المظفر) المعروف بابن الأفطس – صاحب كتاب (المظفر) في خمسين مجلدًا قال فيه ابن سام: (أديبُ ملوكِ عصرهِ غير مدافعٍ)[٣٠] وكان له رأي في الشعر ونقده قال صاحبُ الذخيرة: (وكان ينكر الشعر على قائله في زمانه، ويقبل رأي مَنْ ارتسم في ديوانه، حدثني مَنْ سمعه يقول: مَنْ لم يكنْ شعرُه مثل المتنبي، أو شعر المعري فليسكت لا يرضى بدون حدوث ذلك)[٣١] ممّا يدلُّ على نظرةٍ فاحصةٍ في معرفة جيد الشعر ورديئه مرتجلاً غير ناضجٍ، فإنْ كان كذلك فأولى به أنْ يجالسَ العلماءَ ويغدق عليهم مِنْ مالِهِ، ولا شكَّ أنَّه مِنْ دعاة تجويد الشعر وتثقيفه قبل أنْ يلقى على مسامع الأمير[٣٢] ويعقبه على هذه المملكة ابنه المتوكل، وكان في رقة طبعه كالمعتمد

بن عباد في اشبيلية(٣٣)، استنجد بالمرابطين حال ملوك الطوائف، إلا أنَّه ما لبث أنْ دارتْ الدائرة عليه كما دارت على المعتمد مِنْ قبل، وعندما أغار المرابطون على أراضي مملكته التجأ إلى الفونسو يستنجد به على المرابطين، وتنازل له مقابل ذلك عن ثلاث مدن مهمة من أملاكه هي: (اشبونة، وشنترة ،وشنترين) وقد نال هذا التصرف استهجان الشعب الأندلسي ممّا دعاهم للاستغاثة بالمرابطين عليه(٣٤)، إنَّ هذا التصرف يبعث على التعجب؛ لأنَّه كان مدافعًا أمينًا عن مدينته طليطلة قبل سقوطها حين تركها لباقي أمراء الأندلس، فضلاً عن أنَّه قاد دعوة التوحيد في الأندلس للوقوف بوجه النصارى، والذي دعاه إلى الاستنجاد بالمرابطين مِنْ دون ترددٍ(٣٥) .

دخل المرابطونَ أراضي بطليوس سنة (٤٨٤هـ) مِنْ دون أنْ يتمكنَ الفونسو مِنْ تقديم العون والأنجاد لحليفه، فهربَ إلى قصبة بطليوس بأسوارها المنيعة إلا أنَّها لم تغنَ عنه شيئًا وقبض عليه وعلى ابنيه الفضل والعباس ثم سُيّروا إلى اشبيلية، وقبل أنْ يصلوها قُتلوا في الطريق(٣٦) وقد أثارت فاجعة بني الأفطس وزيرهم الشاعر ابن عبدون الذي بكى ملكهم بقصيدةٍ مشهورةٍ مطلعها:

الدَّهرُ يَفْجَعُ بعدَ العَيْنِ بالأثَرِ فَمَا البُكاء عَلى الأشْبَاحِ والصُّورِ(٣٧)

بدأ ابن عبدون قصيدتَه بالشكوى والتفجع من الدهر، متنقلاً بعدها إلى سردِ القصصِ التي حلَّت بالدولة الزائلة وملوكها، إذ قال(٣٨):

أنْهَاكَ أنهاكَ، ولا أنْهَاكَ واحــدةً عَنْ نومةٍ بَيْنَ نَاب الليثِ والظـــفرِ

فالدَّهرُ حَرْبٌ وَإنْ أبْدَى مسالمَةً فَالبِيْضُ والسُّمْرُ مِثْلَ البِيْضِ والسُّمْرِ

فَلا يَغُرَّنَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ نَوْمَتــها مِمَّا ضاعة عَيْنها ســوَى السَّهرِ

هَوَتْ بَدْرا وفلت غـــرْبَ قَاتِلَــةٍ وَكَانَ عَصِيًّا عَلَى الأمـــْلاكِ ذَا أثرِ

واسْتَرْجَعَتْ مِنْ بَنِيْ سَاسَان مَا هَوِيت وَلَمْ تَدع لِبَنِيْ يونان مِنْ أثـــَـرِ

وَاَعْثَـــرتْ الَ عَبَّاسَ لِمَا لَهُـــم بِذَيْلِ زِبَاء مِنْ بِيْضٍ وَمِنْ سُمُــرِ

وَلَا وَقْتٌ بِعُهُودِ المُسْــــتَعِيْن وَلَا   مِمَّا تَأَكَّد للمُغْبَــــرِ مِنْ مـــــرِرِ

وَأَوْثَقَتْ عُرَاهَا فِي كُلّ مُعْتَـــــمِدِ   وَاَشْرَقَتْ بَعْــــدَها لِكُلّ مُقتـــَدِرِ

بَنِي المُظَفَّرِ وَالأَيَّام مَا بَرِحَـــــتْ   مَراحـــــلا وَلِلوَرَى مِنْهَا عَلَى سَفِرِ

فالشاعرُ يستجدي العزاء ممّا حصلَ للأممِ والأقوامِ السالفةِ لعلّه يجدُ العزاءَ لنفسه موطنًا نفسه على الفراق الابدي، إلا أنَّ الحيرةَ تبقى غايتُه ومنتهاه لكنه لا يجدُ مَنْ يملأ الفراغ الذي خلّفه المتوكلُ فيبقى يسأل المجهول الذي لا يشفي غليله بجوابٍ وافٍ شافٍ، ممّا يدعوه إلى الدعاء على الدهر ، إذ قال(٣٩) :

سُحْقَا لِيَومِكُمْ يَوْمًا وَلا حَمِلَـــتْ   تُحِيْلُهُ لَيْلَةٌ فِي مُقْبَلِ العُمُـــرِ

مَنْ لِلأَســــرةِ مَنْ للاعنَّة أو   مَنْ للأسنة تُهْدِيْهَا إِلى الثَّغْــرِ

مَنْ لِلبَرَاعَةِ أو مَنْ لليُرَاعـــَةِ أو   مَنْ للسَّمَاحَةِ أو للنَّفْعِ أو الضَّرَرِ

وَيْحَ السَّماحِ وَوَيْحَ الجُوْدِ لَو سَلِمَا   وَحَسْرَةَ الِّدينِ وَالدُّنْيَا عَلَى عُمــرِ

إنَّ المصابَ الجلل والنكبة المروعة لم يمرّ مثلها على نفسه أعتى وأعظم منها فلم يبقَ للعروش ملكًا ولا للخيول فارسًا ولا للرماح شجاعًا يحملها يدافع بها عن القصور والثغور ولا للبراعة رجلاً ولا للأقلام كاتبًا، لذا خلت الأرض ممّن يحمل هذه الصفات العظيمة ليعيد إليها المجد والرفعة، ليتجه بعد ذلك إلى ندب مجدهم العابر فيطري على الفرسان والعلماء و صناع الكلام ثم يدعو لهم بالسقيا فيقول(٤٠):

سَقَتْ ثَرَى الفَضْل العَبَّاس هَامِيَةٌ   تُغْرَ يال بِهِمْ سَمَاحًا لا إلى المَطَرِ

أَينَ الإِبَاءُ الذي أَرْسَوا قَواعِــدَهُ   عَلَى دِعَائِم مِنْ عزٍّ وَمِنْ ظَفَــرِ

أَيْنَ الوفاء الذي أَصْفُو شـــرائِعَهُ   فَلَمْ يَرد أَخْذَ مِنْهَا عَلَى كــَـدِرِ

وقصيدة أخرى يبكي الشاعر فيها آل عباد أولاً ثم بني الأفطس يحدر فيها من غدر الزمان والاعتبار من مصائبه فيذكر نكبة بني عباد ثم نكبة بني الأفطس إذ يقول فيها[41]:

يَا نَائِمَ الفِكْرِ فِي ليل الشَّبَابِ أفق   فصبحُ شيبك فِي أفق النّهى بَادِي

وَطَبَقَتْ بِكَ آفاقُ العُلا همَم عَنانِكَ   عِلْمًا بِجَهْلٍ وَإصْلاحًا بإفْسَادِ

وأسْلَمَتْ المَنَايَا آل مُسلمة   وَعبدت للرَّزايَا آل عَبَّادِ

لَقَدْ هَوَتْ مِنْكَ خَانَتْهَا قَوَادِمُهُا   بِكوكبٍ فِي سَمَاءِ المَجْدِ وقَادِ

فقد صوّر نكبة بني الأفطس بالطائر الذي خانته قوادمه فهوي به الحال إلى مكانٍ سحيقٍ وهو تشبيه أراد به الشاعر أنْ يصوّر من خلاله نكبة بني الأفطس فهم كهذا الطائر الذي هوى بعد أنْ كان قويًا ومقدامًا، وهذا نوعٌ من الإطراء أو المدح ليس لشاعرٍ فيه منزلة ومآثر هؤلاء الملوك في الأرض، ومن الشعراء الذين تمسكوا بحبل الوفاء والإخلاص لبني الأفطس، ابن القبطرونة، حين دخل على نجم الدولة سعد بن المتوكل وهو مسجون لدى المرابطين فلما رآه، فاضت العبرات، وارتفع نشيجه ، ثم انشد[42]:

بَابِيْك قدِّس رُوْحِه وَضَريحِهِ   يَا سَعْد سَاعدني وَلسَتَ بَخِيْلا

وَأَسْفَح عَلَى دُمُوعِ عَيْنِكَ سَاعَة   وَامْنُنْ بِهَا حُمرًا تَفِيْضُ هُمُولا

إنْ يَصْبَح الفَضْل القَلِيْل فإنَّني   أمْسَيْتُ مِنْ كَمد عَلَيْهِ قَتِيْلا

كَمْ قَدْ فَدَيْتكُمْ الحِمام بِمُهْجَتِيْ   وَحِمَيْت شول علائكم مَعْقُولا

قَدَّمْتُ نَفْسِيْ لِلْمَنَايَا دُونكُم   بَدَلاً فَلَمْ تَرد المُنُون بَدِيْلا

فالشاعر يؤكد في قصيدته هذه على دوام الوفاء والمحبة التي يكنها المتوكل وإنه مكمودٌ ومفجوعٌ بعد رحيله، ويتمنى أنْ يفديه بروحه ونفسه إلا أنَّ هذا الفداء لم ينفع؛ لانّ الأجل محتوم لا يقبل الإنابة. وحين نبحث في

الأشعار التي قبلت في نكبة بني الأفطس نجد القلة من الشعراء قد تناولوها على الرغم مِنْ أنَّ بني الأفطس ومنهم المتوكل مِنْ أشهر ملوك الطوائف، وأكثرهم ذكرًا، وهو لم يشتهر بحروبه وأعماله السياسية فحسب بل اشتهر بعلمه وأدبه وشعره، وبلاطه الزاهر الذي كان جامعة أدبية أكثر منه قصرًا ملكيًا[٤٣]، وشهادة الفتح بن خافان إذ تقول: كان (ملك جند الكتائب، والجنود، وعقد الألوية والبنود، وأمر الأيام فأتمرت، وطافت بكعبته الآمال واعتمرت، إلى لسنٍ وفصاحةٍ، ورحّب جناب للوافد وساحة، ونظم يزري بالدر النظيم)[٤٤] وقد حفل بلاطه بشعراء مجيدين شهدوا محنته، من أمثال ابي بكر عبد العزيز بن القبطرونة، وأخيه ابن الحسن بن سعيد بن القبطرونة، وأبي محمد محمد بن عبد الله بن سارة، وأبي عبد الله بن البين، إلا أنَّه لم يكن هناك ما يشير إلى وقوفهم إلى جانب المتوكل، ولعل السبب هو ضياع معظم الأشعار، ولعلهم قد رحلوا إلى بلاط المرابطين فلم يكن بمقدورهم أنْ يحزنوا لفقده وهم يعملون لدى مَنْ كان السبب في قتله، فهو مسلوب الإرادة في كل شيءٍ، لكن العزاء في ذلك كلهان الليث الهصور يصطاد من غيلة، ويؤسر ويذل بعد عزٍ وحريةٍ يقول[٤٥]:

عَزاءكُم لَيْثٌ يصاد بغيلة وَيَصْبَح بَعْدَ النَّشَاطِ لَفِيْ حَبْلِ

إلا أنَّ طول الأسر جعله يضيق بالمكان الذليل بعد العز والمجد ويتضاعف همّه ويزداد كمده ووجده، حتى يظن أنّه حاز الهموم جميعها، فلم يبقَ لهم شيء، إذ يقول[٤٦]:

إنْ يَسْلمِ النَّاسُ مِنْ هَمّ وَمِنْ كمدٍ فإنّني قَدْ جَمَعْتُ الهمّ والكمـــــدَا

لَمْ أبْقِ لِغَيْرِي مَا يُحَـــــــاذِرُه فَلَيْسَ يَقْصُدُ دُوْنِي فِي الوَرَى أَحَدَا

أما رفيع الدولة أبو يحيى الذي لم يكن في بني صمادح أشعر منه لكن لخمول محاسنه كما يقول ابن الابار[٤٧] وله أبيات يصور فيها إباءه وعزة نفسه يقول فيها :

خَلَتْ أمّتِي لكِن ذاتي لَمْ تخـــلُ وَفِي الفَرْعِ مَا يُغْنِي إذا ذَهَبَ الأصلُ

وَمَا ضَرَّكم لو قُلتم قول ماجـــد يَكُون لَه فِيمَا يجِيءُ بِهِ الفَـــــضلُ

وَكلُّ إنَاءٍ بِالذي فِيْهِ رَاشـــــــح وَهَلْ يَمْنَحُ الزُّنبورُ مَا مَجَّه النـــَّحلُ

سَأصْرِفُ وَجْهي عَنْ جناب تحلةٍ لَو لَمْ تكُنْ إلا إلَى وَجْهِكَ السُّـــبُلُ

فَما مَوْضِعٍ تَحْتَلُّهُ بِمَرْفَّـــــــــعٍ وَلا يَرْضَى فِيْهِ مَقَال ولا فعـــــــلُ

وَقَدْ كُنْتُ ذَا عَذل لعلّك ترعـــوي ولكن بأربابِ العُلا يَجْمُلُ العَــــذلُ

فالشاعر يتكئ على قوله تعالى: (تلك امة قد خلت لها ما كسبت) [48] ومن خلالها ينطلق إلى أبرز مجده السالف فلا يضره قول المتقولين ؛ لانَّ مكانته معروفة ، وهذا حال بني صمادح كلهم يترفعون عن الصغائر التي تقلل من منزلتهم، ومن ذلك قول رشيد الدولة أبي يحيى محمد حفيد المعتصم وابن عز الدولة[49]:

أَحبّتِنا الكِرَام بَغَـــــوا عَلَيْنَا وَبَغْي المَــرْءِ مَعْطَبَةٌ وَنَارُ

وَقَالُوا الهَجْرَ لمّا يعلمـــــوه وَهَجْرُ القَوْلِ مَنْقَصَةٌ وَعَارُ

صَبِرْتُ عَلَى مُقَارَعَة الدَّواهِي وَطَبْعُ الحُرّ صَـبرٌ وائْتِجَارُ

وَقَلّتُ لَعَلّـــــها ظُلّ مّا لَمّت وَحَالَ اللّيْلُ آخـــرُها النَّهَارُ

فالشاعر في الأبيات السابقة يبدو مستسلمًا تائبًا يرجو العفو ويرتقبه، فلما طال به المقام، وضاقت عليه وحشة السجن اخذ يتذرع بالصبر علَّ الله تعالى يفرج عنه غياهيب السجن، يقول[50]:

صَبْرًا عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ إنَّ لَهُ يَومًا كَمَا فُتِكَ الأَصْبَاحُ بالظُّلَم

وَقَلّمَا صَبرَ الإنسَانُ مُحْتَسِـبًا إلا وَأَصْبَحَ فِي فَضَاضَـةِ النّعَم

إنَّ شعراء النكبة قد صوروا مجدهم الغابر وسلطانهم الزائل في شعرٍ أنيقٍ جديدٍ مشبعٍ بالإباء والترفع عن الذل، مع شكوى عميقة من تقلب الدهر الذي جعلهم يقعون في قيود الذّل، والهوان، ممّا كان له الأثر في نتاج الشعر النكبوي الذي يخرج من نفسٍ مكسورة الجناح يفيض باللوعة والأسى.

ثالثًا : نكبة بني صمادح

في مدينة(المرية) شرقي الأندلس قامت دولة بني صمادح ، وكان المعتصم ابن عبد الله محمد بن معن مِنْ أشهر ملوكها، وكان (منذ أربعين عامًا قوام حكومة رشيدة عاد له، يغمرها بحبه وثقته، وقد اشتهر في جميع أنحاء الجزيرة بحبه للعلوم والفنون والآداب، وكان ينافس في هذا المضمار أعظم العلماء والشعراء والامراء في عصره، وأما في الحرب فقد كان حتى بالليث لأعدائه الذين يقعون في قبضته بفيض إنسانية ورحمة)[٥١] وحين سار المرابطون إلى المرية أوقعوا به هزيمة نكراء مع أنّه كان عضدًا لهم، لاسيما حصاره لحصن لبيط، إذ ارتدى لباس المرابطين الأسود، فلم يستطع مجانبة المصير الذي قضى به يوسف بن تاشفين على أمراء الطوائف جميعًا[٥٢]، فحوصرت المرية من البرّ والبحر وأحكم الحصار بشدةٍ، ولم يرَ الأمير أمامه سوى شبح الأسر والمهانة، فتوفي في أسى وغمّ، وتوفي وهو مسمومٌ[٥٣] فخلفه ابنه أحمد أبو مروان معز الدولة، وكان يشاطره الحكم أثناء حياته وذلك سنة (٤٨٤ هـ) إلا أنَّ حكمه لم يدم شهرًا واحدًا فلما سقطت اشبيليه لم يبق له أمل في الإنقاذ، واشتدّ به الضيق من جراء الحصار وأخذ يفاوض المرابطين في تسليمهم المدينة، ومع أنّه لم يثق بعهودهم وغدرهم بالمواثيق والعهود، فإنّه استطاع أنْ يحقّق ما قصده وهو حِمْل العدو على تحقيق الحصار من ناحية البحر، وانتهز الفرصة فهرب مع أسرته بأمواله في سفنٍ سارت به إلى شمال إفريقية ولم تمضِ أيامٍ قلائل حتى دخل المرابطون المرية مِنْ دون مقاومةٍ وهكذا فتح المرابطون ولايات الأندلس كلها في وقت قصير لم يتجاوز الثمانية عشر شهرًا، واشتهر بنو صمادح جميعًا بنظم الشعر، فالمعتصم، وبنوه أبو جعفر ومعز الدولة أحمد، كلهم شعراء مجيدون.

وحين سقطت غرناطة بيد المرابطين أخذ معظم أمراء الطوائف استرضاء ابن تاشفين والتقرب منه اتّقاء مصيرٍ مماثل، وكان منهم المعتصم الذي أرسل ابنه عز الدولة (عبد الله أبا مروان) مهنئًا بوقوع غرناطة في قبضته فقبض على ابنه وزجَّ في السجن، وقد أرسل عز الدولة إلى والده أبياتًا مؤثرةً يشكو فيها العناء والضيق جراء الحبس، إذ قال[٥٤] :

أَبْعَدَ السَّنَا وَالمَعَالِيْ خُمُوْلُ وَبَعْد رُكُوْبِ المذَاكِيْ كبُولُ

وَمِنْ بَعْدَمَا كُنْتَ حُرًا عَزِيْزًا أَنَا اليَوْمَ عَبْدٌ أَسِـــيْرٌ ذَلِيْلُ

حَلَلْتَ رَسُولاً بِغِرْنَاطَـــــــة فَحَلَّ بِهَا بَـنِـي خَطْبٍ جَلِيْلُ

وَثَقِفْتَ إِذَا جِئْتَهَا مُرْسَـلاً وَقَدْ كَانَ يكْرمُ قَبْلِيْ الرَّسُوْلُ

فأجابه والده قائلا[٥٥] :

عَزِيْزٌ عَلَيَّ وَنُوْحِيْ ذَلِيْلُ عَلَى مَا أُقَاسِيْ وَدَمْعِيْ يَسِيْلُ

لقطعت البيض أَغْمَادهَا وَسَقَتْ بِنُود وَنَاحَتْ طُبُـــوْلُ

لَئِنْ كُنْتَ يَعْقُوْبَ فِيْ حُزْنِهِ وَيُوسُف أَنْتَ فَصَبْرٌ جَمِيْـــــلُ

لقد استحضر الشاعر الأدب والموروث الديني ووظّفه خير توظيفٍ في شعره مستلهمًا الدروس والعبر مِنْ قصة يوسف (عليه السلام)، فأصبح في حزنه كأنّه يعقوب (عليه السلام) والابن هو يوسف الذي غدر به أخوته فكأنّه يشير إلى غدر المرابطين في عهودهم ومواثيقهم، وهو في كلّ حالٍ يصبّر نفسه ويوطنها على الفراق، فحين تمكّن مِنْ مساعدة ابنه على الهرب وافاه في المرية فوجده مريضًا على فراش الموت، وهنا سارع المرابطون إلى حصار المرية ودخلوا معظم حصونها وضيقوا عليه الحصار فقال عبارته المشهورة: (لا إله إلاّ اللهّ، نُغّصَ علينا كلُّ شيءٍ حتى الموت)[٥٦]، وألفى جاريته فوق رأسه باكيةً فأنشد:

تَرَقّقْ بِدَمْعِكَ لا تُفْنِهِ فَبَيْنَ يَدَيْكَ بُكاءٌ طَوِيْلُ[٥٧]

فالأسلوب رقيق بعيد عن العبارات النابية وهو يقترب من الأسلوب السهل الممتنع، ولّما أحسَّ بدنوّ الأجل والمرابطون قاب قوسين أو أدنى أنشد قائلاً:

تَمَتعتُ بِالنَّعْمَاءِ حَتَى مَلَلْتُها وَقَدْ ضَجَرتُ عَيْني فِي سَئْمَتِها

فَيَا عَجَبًا لَمَّا قَضَيت قَضَاءَها وَمَليتها عُمْري تَصْرِمُ وَقْتَـــــها[٥٨]

إنَّ أبيات الشاعر تنمُّ عن اليأس المطبق الذي خيّم على حياته بعد أنْ ضاقتْ به السبل. وأقدمتْ عليه المحن، فكان المهرب والملجأ تلك النفثات الحزينة التي صدرت من نفس ذاقت الألم.

القسم الثاني : مضامين شعر النكبة

لقد تضمنت أشعار النكبة الكثير من المعاني الشعرية والتي امتزجت وتداخلت مع بعضها البعض ولكن على العموم يمكن تقسيم هذه المضامين على النحو الآتي:

أولاً: الوصف أو ما يسمَّى بـ(وصف الطبيعة) وهو غرضٌ يتداخل مع الأغراض الشعرية جميعًا ويمتزج معها امتزاجا لا يمكن فصله كما نص على ذلك نقادّنا الأوائل، يقول ابن رشيق: (الشعر- إلا أقلّه- راجع إلى باب الوصف)(٥٩) لذا انمازت الأشعار النكبوية بصفتها الوصفية التسجيلية، إذ تناول الشعر في هذا العصر النكبات في جوانبها كلها وقام الشعراء بتغطية الأحداث وتسجيل تفاصيلها بدقة، وقد كان العيش في المدن الأندلسية قبل نكبتها هانئًا رغيدًا، نظرًا لما فيها من المباهج ولحظات السرور التي كانت تعقد في أحضان الطبيعة الزاهية وقصورها الحالمة، يقول المعتمد:

أَلا حَيِّ أَوْطَانِيْ بِشلبَ، أَبَا بَكْــــــرِ وَسَلْهُنَّ هَلْ عَهْدُ الوُصَالِ كَمَا أَدْرِيْ

وَسَلِّم عَلَى قَصْرِ الشَّراحِيْبِ عَنْ فتىً لَهُ أبدا شَوْقٌ إِلَى ذَلِك القَصْـــــــــــرْ

مَنَازِلُ آســــــــَـــــــــادٍ وَبيضٍ نَوَاعِمٍ فَنَاهِيْكَ مِنْ غيلٍ وَنَاهِيْكَ مِنْ حَذَرْ(٦٠)

وقول ابن عمار:

أدرْ الزُّجَاجَةَ فَالنَّسِيْمُ قدْ انبَرَى وَالنَّجْمُ قَدْ صَرف العنَان عَنْ السّرى

وَالصُّبحُ قَدْ أَهْدَى لنا كافورهُ لمّا اســـــــــــــتردّ اللّيْل مِنَّا العنــــــبرا

إلا أنَّ حياة الدعة والعيش الرغيد لم تكن لتستمر طويلاً، إذ سرعان ما انقلبت تلك الحياة إلى كدّ وعناءٍ وغمٍ بعد اجتياح المرابطين لدول الطوائف، فانطلقت صيحات الشعراء لتعبر عن وصف المشهد الحزين المؤلم محاولين نقل مشاهداتهم إلى شعرهم، فعندما سيق المعتمد إلى منفاه، وصلوا إلى بلدٍ قد خرج أهله طلبًا للسقيا، فأنشد قائلًا[٦١]:

خَرَجُوا لِيَسْتَسْقُوا، فَقُلْتُ لَهُمْ دَمْعِيْ يَنُوْبُ عَنْ الأَنْوَاءِ

قَالُوا: حَقِيْقٌ فِيْ دُمُوعِكَ مُقْنع لَكِنْهَا مَمْزُوْجَةٌ بِدِمَاءِ

فقد عبّر عن عاطفته المتوقدة بأسلوبٍ راقٍ وهو (حسن التعليل)[٦٢] إذ أراد أنْ يعبّر عن الدموع الغزار في عينيه والتي تنوب عن السقيا لتلبي ما يريده الناس، هذه الدموع هي ليستْ من جنس الماء أنّما هي خليطٌ من الدم والماء، نظرًا لما يعتصر في نفسه البائسة من ألمٍ وحسرةٍ، ويميل إلى التعبير المجازي الاستعاري من خلال بث الحركة والروح في موجوداته، ليقرّب الصورة إلى الأذهان، يقول[٦٣]:

هُمْ أَوْقَدُوا بَيْنَ جِفْنَيْكَ نَارَا أَطَالُوا فِيْهَا فِيْ حَشَاكَ اسْتِعَارَا

أَمْ يَخْجَلُ المَجْدُ انْ يَرْحَلُوْا كَ – وَلَمْ يَصْحَبُوكَ قِبَاءً مُعَارا

فقد استعار الخجل للمجد للدلالة على حياة العدم التي يعيشها مع أهله، وإنَّهم ليسوا بدار عزٍ، وهو أكثر ما يؤلم المعتمد؛ لأنّه ليس من طبعه الاعتذار ولكن فاقد الشيء لا يعطيه، فتأثرَ المعتمد بذلك وأجاب بنفسه من واقع محنته، إذ قال[٦٤]:

كُنْتُ حلفُ النَّدى وَرَبُّ السّمَاح وَحَبِيبُ النُّفُوسِ والأَرْوَاحِ

إِذْ يَمِيْنِيْ لِلْبَذْلِ يَوْمَ العَطَايَا **وِلِقَبْضِ الأَرْوَاحِ يَوْمَ الكِفَاحِ**

وقريبا من ذلك ابن حمديس[٦٥]

وَلَمَّا رَحَلْتُمْ بِالنَّدَى فِيْ أَكُفِّكُمْ ... وَقَلْقَلَ رَضْوِيْ مِنْكُمْ وَثُبُورُ

رَفَعْتُ لِسَانِيْ بِالقِيَامَةِ قَدْ دَنَتْ ... ألا فَانْظُرْ هَذِه الجِبَالُ تَسِيْرُ

فالقيامة في نظر الشاعرِ قد قامت؛ لأنَّه لم يبقَ في هذه الحياة مَنْ يَحُضُّ على المكارم ممَّا جعل الحياة تنعدم فيها سبل الخير والرَّشاد؛ ولأنَّ القيامةَ لا تقوم إلا على شرار الناس، فقد أوردها على سبيل العموم، ونرى ابن اللبانة يوافق ابن حمديس في التصوير الحسّي النابع عن فؤادٍ مكلومٍ، إذ يقول(٦٦) :

انْفِضْ يَدَيْكَ مِنَ الدُّنْيَا وَسَاكِنِهَا ... فَالأرْضُ قَدْ أقْفَرَتْ وَالنَّاسُ قَدْ مَاتُوْا

وَقُلْ لِعَالِمِهَا السُّفْلِيْ قَدْ كَتَمَتْ ... سَرِيْرَةُ العَالَمِ العُلْوِي أغْمَاتُ

فالشاعر هنا يمزج الحكمة بالوصف، فهو يطلب من الإنسان عدم الاغترار بالدنيا وبالملك والجاه، فهذا ابن عباد صاحب المجد والرفعة والسلطان خير مثالٍ على ذلك، فقد أصبحَ أسيرُ القيد يرفل بثياب الذل والمهانة، ويقف على أطلال القصور التي تركها المعتمد فيجهش بالبكاء، معاهدًا هذا الأمير بأنَّ بكاءه لن ينقطع، والحياة الهانئة محرّمةٌ عليه، يقول(٦٧):

أمرُّ بِأبْوَابِ القُصُوْرِ وَاغْتَدِي ... لِمَنْ بَاتَ مِنْهَا فِيْ الضَّمِيْرِ مُنَاجِيَا

وَأدْعُوا بَنِيْهَا سَيِّدًا بَعْدَ سَيِّدِ ... وَمِنْ بَعْدِهِم أصْبَحَتْ همَا مُوَالِيَا

وَاحْدَاثُ آثَارِ إذَا مَا غَشَيْتها ... فَجَرَتُ عَلَيْهَا أدْمُعِيْ وَالقَوَافِيَا

سَأُدْمِيْ جُفُوْنِيْ بِالسّهَادِ عُقُوْبَةً ... إذَا وَقَفتْ عَنْكَ الدُّمُوْع الجَوَاريَا

وَأمْنَعُ نَفْسِيْ مِنْ حَيَاةٍ هَنِيْئَةٍ ... لأنّكَ حَيٌّ تَسْتَحِقُّ المَرَاثِيَا

إنَّ فكرة الشاعر التي أراد إيصالها في قوله: (إنَّك حيٌّ تستحق المراثيا) في العاطفة والاحساس والصدق؛ لأنّ الممدوح على قيد فشبّه حالة القيد بحياة الأموات نظرًا لما تعاقب عليه مِنْ أهوال السجن ومصائبه من فقرٍ وذلّ

وهوانٍ وفراقٍ، وهي صورةٌ جديدةٌ لم نكد نلمحها عند أحدٍ قبله، ومِنَ الشعراء الذين سجّلوا لهذه النكبة ابن عبد الصمد إلا أنّنا لا نعرف السبب في عدم زيارته في سجنه، وتخليد محنته في الأسر على الرغم مِنْ أنَّه كان مقربًا منه، لذا جاء شعره متأخرًا، ويبدو أنّه كان يخاف من تنكيل المرابطين به، ولكن بعد وفاة المعتمد، أقام على قبره، وخرَّ على ثراه، ولثمه مستترًا بين البكاء والعويل إذ قال(٦٨):

مَلكُ المُلُوكِ أسـامعٌ فأُنَادِيْ أَمْ قَدْ عَدتكَ عَنْ السَّمَاعِ عوَادِ

لمّا خلتْ مِنْكَ القُصُورُ ولمْ يَكُنْ فِيْهَا كَمَا كُنْت فِـيْ الأعْيَادِ

أقبلتُ فِيْ هَذَا الثَّرَى لَكَ خَاضِعاً واتَّخَذتُ قَبْرَكَ مَوْضِـعَ الإنْشَادِ

قَدْ كُنْتُ أحْسِبُ إنْ تَبَدَّدَ أدْمُعِيْ نِيْرَانُ حُزْنٍ أضْرمَـتْ بِفُؤادِيْ

إنَّها الحسرة تحزَّ في قلب الشاعر ووجدانه الذي اكتوى بنار المحبّة والوفاء والإخلاص لهذا الممدوح، وهذا ما نجده عند معظم الشعراء الذين سجّلوا للمعتمد نكبته فكانت أشعاره أقرب إلى العفوية مع الميل نحو الصدق العاطفي، لقد كان لهذه الشخصية مع كلّ خطاياها أنْ يستأثر بعطف القلوب والعقول في القديم والحديث بشكلٍ يثير الاستغراب(٦٥)، فقد رأى د٠ إحسان عباس: (إنَّ أفول نجم المعتمد أثار في الشعر من العواطف والبكاء أكثر ممّا أثارها ضياع أجزاء عزيزة مِنَ الوطن)(٦٦)، أمّا ابن عبدون فكان وفيًا لبني الأفطس بعد زوال ملكهم إذ ،يقول(٦٩):

كَانُوا رَوَاسِيْ أَرْض الله مِنْـذُ نَأَوَا عَنْهَا اسْتَطَارَتْ بِمَنْ فِيْهَا وَلَمْ تَقِرِ

وَمَنْ لِيْ وَمَنْ لَهُمْ إنْ أَظْلَمَتْ نُوَبٌ وَلَمْ يَكُنْ لَيْلَهَا يَفْضِيْ إِلَى سَـحرِ

فالشاعر يرى في هؤلاء الملوك العظمة، لذا شبههم بالجبال التي تحافظ على توازن الأرض، وهنا تبرز ثقافة الشاعر الدينية من خلال استرفاد معاني الآيات القرآنية، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: {وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا} [النبأ: ٧].

وخلاصة القول في الوصف أنَّه غرضٌ امتزج مع شعر النكبة عبَّر فيه الشعراء عمَّا اختلج في نفوسهم من آلامٍ ومحنٍ جراء الأسر أو السجن، وقد جنح الشعراء إليه كمهربٍ ممَّا يعانونه مِنْ التشرّد والانكسار النفسي.

ثانيًا: الشكوى (والشِّكَايَة أو الشَّكِيَّة: إِظْهارُ مَا يَصِفُك بِهِ غيرُك مِنَ المَكْرُوهِ، والاشْتِكَاءُ إِظْهارُ مَا بِكَ مِنْ مَكْروهٍ أَو مَرَضٍ ونحوِه. وأَشْكَيْتُ فُلَانًا إِذا فَعَلْتَ بِهِ فِعْلًا أَحْوَجه إِلى أَن يَشْكُوك، وأَشْكَيْتُه أَيضاً إِذا أَعْتَبْته مِنْ شَكْواهُ ونَزَعْتَ عَنْ شَكاته وأَزْلْتَه عمَّا يَشْكُوه، وَهُوَ مِنَ الأَضْداد)(٧٠).

ووردت الشكوى عند شعراء الأندلس كثيرًا نظرًا إلى الظروف العصيبة التي مرّت بها الأمة الأندلسية ولاسيما في عصر الطوائف، وكانت نكبة هؤلاء الملوك مِنْ أهم المنبّهات التي ساعدت شيوع هذا اللون وجاء معبّرًا عمّا أحسَّ به الشعراء مِنْ جورٍ وأذى وقع عليهم أو على غيرهم سواءً كانوا ملوكًا أم عوامًا، من ذلك قول المعتمد(٧١):

قُبّح الدَّهْرُ مَاذَا صَنَعَا كُلَّمَا أعْطَى نَفِيْسا نَزعَا

قَدْ هَوَى ظُلْمًا بِمَنْ عَادَاته أنْ يُنَادِيْ كُل مَنْ يَهْوَى (لعا)

مَنْ إذَا الغَيْثُ هَمَى مُنْهَمِرا أخْجَلته كفُّهُ فانْقَطَعَا

مِنْ غَمَامِ الجُّودِ مِنْ رَاحَته عَصَفتْ رِيْح بِهِ فَانْقَشَعَا

رَاحَ لا يَمْلُك إلا دعوة جَبَرَ اللهُ العَفَاةَ الصيّعا

فالشاعر يشكو ظلم الدهر؛ لأنَّه يتغافل عن أهل الفساد، ولا ينزل بطشه إلاّ بأهل الخير والصلاح، وقد شمل ذلك الظلم العفاة الذين كانوا يقتاتون على نوال الممدوح فحرمهم وقوع المعتمد في الأسر من الحصول عليه، وقول ابن عبدون(٧٢):

مَا لِلْيَالِيْ أَقَالَ اللهُ عثرتـــــُــها مـــَـنْ لليَالِي وَغَالَتها يـــَـدُ الغـــَــــدْرِ

كَمْ دَوْلَةٍ وَلَيْتَ بالنَّصْرِ خدمتُها لَمْ يَبْقَ فِيْهَا وَسَلْ دُنْيَاكَ عـــَــنْ خبرِ

والشكوى من غدر الزمان ترافق أمراء دولة بني صمادح فهذا عزّ الدولة يشكو حاله في هذه البلاد الغريبة عنه في كلّ شيءٍ، إذ يقول(٧٣):

لَكَ الحَمْدُ بَعْدَ الملكِ أَصْبَحَ خَامِلاً　　بِأَرْضِ اغْتِرَابٍ لَا أَمْرَ وَلا أَحْـــلَى

وَقَدْ أَصْدَأَتَ فِيْهَا الهوادَةَ منصلى　　كَمَا نسيت ركض الجِيَاد بِهَا رجْلِي

وَلا مَسْمَعِيْ يُصْغِي لِنَغْمَةِ شَاعِرٍ　　وَكَفِّيْ لا تَمْتَدُّ إِلَـــى بَذْل

طَرِيْدًا شَرِيْدًا لا اؤمل رَجْعَـــة　　إِلَى مَوْطِنٍ بُوْعِدَتْ عَنْـــهُ وَلا أَهْل

وَقَدْ كُنْت مَتْبُوعًا فأمْسيت تَابِعًا　　لَدَى مَعْشَر لَيْسُوا بِجِنْسِي وَلا شَكْلِي

فالشاعر يشكو الغربة في بلادٍ غريبةٍ موحشةٍ انسته الفروسية وسماع الشعراء والبذل والعطاء واستقلالية الرأي، وهو بذلك يشير إلى حياة الذل التي عاشها في ظلّ دولة المرابطين الذين سلبوه

ملكه فاستحالت حياته إلى شكوى مريرة.

ثالثًا : رثاء الإمارات الزائلة

إنَّ المدن التي رثاها الشعراء وبكوها بعاطفةٍ متوقدةٍ ودموعٍ حارةٍ دلّت على وفاء أخلاقي، فتحسّروا وتأسفوا لسقوطها وذهابها أدراج الرياح في أرجاء الأندلس، وهذه المدن لم تسقط على يد جيوش الإفرنجة وإنّما سقطت تحت وطأة الجيوش المسلمة القادمة من أفريقيا في بعض الأحيان، وحين حمل المعتمد أسيرًا إلى أغمات وأحسّ بدنو الأجل، رثى نفسه بنفسه ووصى بأنْ تكتب على قبره، فقال(٧٤):

قبْرُ الغَرِيْبِ سَقَاكِ الرَّائح الغَادِي　　حَقاً ظَفرتِ بَأشْلاءِ ابْن عبـــادِ

بِالحلمِ، بِالعلم، الرَّامِي إِذَا اقْتَتَلُوا　　بِالمَوْتِ أحْمَرَ، بِالضِرْغامة العَادِي

إلى أنْ يقول :

وَلَمْ أكُنْ قَبْلَ ذَاكَ النّـــعش أعلمهُ أنَّ الجِبَـــــالَ تهَادَى فَوْقَ أعْوَادِ

كَفَاكَ فَارْفِقْ بِمَ اسْتَوْدَعَتَ مِنْ كَرمٍ روّاك كُلُّ قطوب البـــــرْق رعَّاد

يَبْكِي أخَاهُ الذِي غيِّبتَ وابـــــلهُ تَحْتَ الصَّفِيْح، بِدَمْعٍ رَائِـحٍ غَادي

وقد بكى بعض الشعراء في المعتمد العزّ الزائل والمجد الراحل، فكان ابن اللبانة، ممّن أفاض في نظم أشعاره الشجيّة في تلك النكبة، إذ قال(٧٥):

تبْكِيْ السّماءُ بمزْنٍ رَائِحٍ غَادِي عَلَى البَهَاليل مِنْ أبْنَاءِ عبّـــاد

عَلَى الجِبَالِ التِيْ هدّت قَواعِدَها وَكانَتْ الأرْضُ مِنْهُم ذَاتِ أوْتَاد

عَرِيْسَةٌ دَخَلتها النّائِبَاتُ عَلَى أسَاورَ لَهُمْ فِيْهَا وآسَـــــاد

وَكعْبَةٌ كَانَتْ الآمَالُ تَخْدمُهَا فاليومَ لا عاكفٌ فِيْـــها ولا بَاد

ويلون الشاعر معانيه بالوان داكنة من الأسى، ومصوراً حزن الناس عليه حين رأوا بني عباد مأسورين وهم يركبون السفن في البحر، : فيقول(٧٦)

حَانَ الوَدَاعُ فَضَجَّتْ كُلُّ صـــارخةٍ وَصَارِخ من مفدهُ وَمِنْ فَادِي

سَارَتْ سَفَائُنُهُم والنّوح يَتبَـــــعُها كَأنَّهَا إبْلٌ يَحْدُو بهَا الحَادِي

كَمْ سَالَ فِي المَاءِ مِنْ دَمْعٍ وَكَمْ حَمِلَتْ تِلْكَ القَطَائِعُ مِنْ قَطعَاتِ أكْبَادِ

وبعد سقوط دولة بني عباد هوتْ دولة بني الأفطس فطُويت بذلك صفحة أخرى من هذا العهد. وقد كان لهذه الوقعة تأثيرها الكبير في نفس الشاعر ابن عبدون، فأخذ يبكي بدموعٍ حارةٍ على مجدهم الذاهب بقصيدةٍ رائعةٍ ذاعت شهرتها في الآفاق، إذ يقول(٧٧):

الدَّهْرُ يَفْجعُ بُعْدَ العَيْنِ بِالأثر فَمَا البُكَاءُ عَلَى الأشْبَاحِ وَالصُّورِ

ويختتم ابن عبدون مرثيته بالبكاء على الدولة المظفريّة ممثلة في الملك (عمر) الملقّب بـ(المتوكل الأديب والفارس)، وفي ولديه الفضل والعباس، وكانوا استشهدوا على أيدي المرابطين فيشيد بالخصال الحميدة والقيم النبيلة فيه وفي ابنائه فيقول[٧٨]:

وَيْحَ السَّماحِ وَوَيْحَ البَأْسِ لَوْ سَلِمَا وَحسرةِ الدّين والدُّنْيَا عَلَى عمـــرِ

سَقَتْ ثَرَى الفَضْل والعَبّاسِ هَامِيَةٌ تَعزَى إِلَيْهِمْ سَمَاحَاً لا إِلَى المَـــطرِ

ثَلاثَةٌ مَا ارْتَقَى النسرانِ حَيْثُ رَقوا وَكُلُّ مَا طَارَ مِنْ نِسْرٍ وَلَمْ يــَطرِ

ثَلاثَةٌ كذواتِ الدّهرِ مِنذُ نــَــــأوا عَنَى مَضَى الدَّهرُ لَمْ يربعْ وَلَمْ يَحِر

إنَّ أثر النكبة ظلَّ شاخصًا في نفوس شعراء الأندلس في هذه الحقبة من الزمن؛ لأنّ هذه الدول كانت دررًا نفيسةً مِنْ درر الأندلس الموحدة نظرًا إلى ما توفّر في أمرائها من صفات الحزم والشجاعة وقوة الشكيمة، لذا كان حزن الأندلسيين عظيمًا، إلا أنّه مهما كانت قوة هؤلاء الملوك فلا يمكنهم الصمود منفردين ولاسيما أنَّهم أمام عدوّ شرسٍ متمثلاً بالإسبان الذين يتربصون بالأمة الإسلامية الشر في كلّ لحظةٍ فكان عليهم لَمّ الشمل والوقوف أمام العدو يدًا واحدةً، إلا أنّهم كانوا على العكس من ذلك أخذوا يتحالفون مع الفونسو ضد جيوش ابن تاشفين المسلمة، فكان لابدَّ من موقفٍ حازمٍ يعيد للأمة هيبتها وإنْ أخذ على ابن تاشفين القسوة في معاملة هؤلاء الملوك.

الخاتمة

بعد هذه الوقفة مع شعر النكبات في الشعر الأندلسي نهاية عصر الطوائف لابدَّ من الإشارة إلى أنَّ هذا الشعر يدلُّ على المآسي الجماعية والفردية التي حلّتْ بالأمة الأندلسية فكان الجديد في هذا الشعر تعبيره عن نفسية أصحابه، ولاسيما أنَّهم قد عبّروا عن الانكسار النفسي الذي خيّم على نفوسهم الحزينة، وهناك جانبٌ آخر هو التصوير من قبل الشعراء الآخرين، فكانت أشعارهم تعبّر عن جانبٍ أخلاقي، وذلك الوفاء المتجدد عند الشعراء حتى بعد زوال مُلك الممدوح، وهذا جانبٌ أخلاقي قلَّ نظيره، ولعلَّ أبرز ما يميّز هذا الشعر الآتي:

١. شيوع النظرة التشاؤمية في الشعر التكويني فهو شعرٌ يعبّرُ عن الانكسار النفسي واستسلام كامل لهول النكبة.
٢. برزت ظاهرة الشكوى من تقلّب الدَّهر طاغية في معظم قصائد الشعراء ، ولاسيما في المواقف العاطفية التي تتقلب بحسب مزاج الشاعر.
٣. ظهور العاطفة القوية في هذا الشعر، فالبكاء صفةٌ طاغيةٌ في أغلب النتاجات الشعرية. وقد تميّزت هذه العاطفة بالصدق والابتعاد عن العاطفة المصطنعة.
٤. اتخاذ الحكمة والوعظ مسلكًا في تلك الأشعار، فهي على الدَّوام تذكر ما حدث للأقوام والحضارات السالفة من نكباتٍ لغرض الاتعاظ وأخذ العبرة.
٥. الامتزاج الواعي بين نفسية الشاعر والطبيعة سمةٌ غالبة في أشعار النكبة.
٦. نزوع الشعراء في تعبيرهم عن مضامين النكبة إلى السهولة ورقّة اللفظ وجمال الاسلوب.

الهوامش

(١) مختار الصحاح : ١/ ٣١٩ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) جمهرة اللغة : ١/ ٣٧٨ .

(٤) معجم ديوان الأدب : ١/ ١٣٥ .

(٥) أدب النكبة في التراث العربي – العصر العباسي ١١ .

(٦) ينظر : عصر المرابطين والموحدين في الأندلس : محمد عبدالله عنان : ٥٠ .

(٧) ينظر : أدب النكبة في التراث العربي : ١٣ .

(٨) ينظر : المصدر نفسه .

(٩) رثاء المدن والممالك في الشعر الأندلسي : ١١٩ .

(١٠) الحلة السيراء لابن الأبار : ٢/ ٥٤ .

(١١) المعجب : عبد الواحد المراكشي : ١٥٨ .

(١٢) دراسات اندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة : أحمد مكي ، ٦٤ .

(١٣) عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس : محمد عبدالله عنان : ٣٩ .

(١٤) ينظر : عصر المرابطين والموحدين .

(١٥) المصدر نفسه .

(١٦) ينظر : مذكرات الأمير عبدالله آخر ملوك بني زيري بغرناطة ، ١٧١

(١٧) ديوان المعتمد بن عباد : ٨٨-٨٩

(١٨) سورة القلم : الآية ٣ .

(١٩) ديوان المعتمد : ١٠٩ .

(٢٠) ديوان المعتمد : ٩٥ .

(٢١) التشخيص : هو بث الحركة والاحساس في الجمادات . ينظر : الصورة الشعرية في شعراء تمام : عبدالقادر الرباعي ، جامعة اليرموك ٥٣.

(٢٢) ديوان المعتمد : ٩٨ .

(٢٣) ديوان المعتمد : ٩٩ .

(٢٤) المصدر نفسه :١٨٠.

(٢٥) ينظر : رثاء المدن :١٤٤.

(٢٦) ديوان ابن اللبانة :١٥٤-١٥٥.

(٢٧) ديوان ابن حمديس ٥٣٠- ٥٣١.

(٢٨) ديوان ابن حمديس : ٥٣١.

(٢٩) العمدة لابن رشيق: ٢/ ١٣١.

(٣٠) ينظر : الذخيرة، لابن بسام ،تح سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ١٩٩٨: ٢/ ٣٧٨

(٣١) المصدر نفسه ٣٧٨-٣٧٩.

(٣٢) ينظر : البيئة الاندلسية واثرها في شعر ملوك الطوائف ، سعد اسماعيل شلبي:٧٦.

(٣٣) المغرب : ٢/ ٣٦٤.

(٣٤) دول الطوائف :٣٥٦ .

(٣٥) دول الطوائف .

(٣٦) ينظر : عصر الطوائف :٣٥٦ومابعدها .

(٣٧) شعر عبد المجيد ابن عبدون، جمع وتحقيق،نزهة جعفر حسن الموسوي، مجاة التربية والعلم م٩ ، العدد الثاني ، ٢٠٠٢م : ٢٠ .

(٣٨)المصدر نفسه .

(٣٩)شعر عبد المجيد بن عبدون :٢١

(٤٠) شعر عبد المجيد ابن عبدون : ٢١ .

(٤١) المصدر نفسه : ٢١

(٤٢)البيان المغرب :١٠٢

(٤٣) ينظر رثاء المدن والممالك :١٥٩

(٤٤) ينظر المصدر نفسه .

(٤٥) المصدر نفسه : ١/ ٢٠٢ .

(٤٦) المصدر نفسه : ١/ ٢٠٢ .

(٤٧) نفح الطيب : ٤/ ٣٤٢ .

(٤٨) البقرة/ ١٤١ .

(٤٩) الحلة السيراء ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (المتوفى: ٦٥٨هـ الدكتور حسين مؤنس

الناشر: دار المعارف - القاهرة

الطبعة: الثانية، ١٩٨٥م.

(٥٠) تاريخ الفكر الأندلسي : ١١٦ .

(٥١) ينظر : عصر المرابطين والموحدين :١/ ١٠٣.

(٥٢) المصدر نفسه.

(٥٣) تنظر ترجمة ووفاته في : وفيات الاعيان لابن خلكان :٢/ ٤٥ومابعدها، والحلة السيراء ،لابن الابار:١٧٢وما بعدها .

(٥٤) الحلة السبراء : ٢/ ٨٨-٨٩ .

(٥٥) المصدر نفسه .

(٥٦) المصدر نفسه ٢/ ٨٤.

(٥٧) الذخيرة :١/ ٤٥٩ .

(٥٨) الحلة السيراء ٢/ ٢٩٤.

(٥٩) العمدة ٢/ ٢٩٤.

(٦٠) الذخيرة : ديوان المعتمد بن عباد.

(٦١) ديوان المعتمد بن عباد : ٨٩ .

(٦٢) حسن التعليل : هو أن ينكر الأديب صراحة علة الشيء المعروفة ويأتي بعلة أخرى . ينظر : فنون بلاغية : د. أحمد مطلوب ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٩٧٥م : ٢٩ .

(٦٣) ديوان المعتمد : ٩٧ .

(٦٤)

(٦٥) ديوان ابن حمديس :٢٦٩.

(٦٦) ديوان ابن اللبانه :١٢٣.

(٦٧) ديوان ابن حمديس :٥٣٢.

(٦٨) الذخيرة :١/ ٤٥٩.

(٦٩) شعر عبد المجيد ابن عبدون :ق٣٠ .

(٧٠) لسان العرب مادة (شكا).

(٧١) ديوان المعتمد ابن عباد : ٩٦.

(٧٢) ديوان عبد المجيد ابن عبدون :ق٧.

(٧٣) الذخيرة ١/ ٤٥٨ .

(٧٤) ديوان المعتمدابن عباد .

(٧٥) ديوان ابن اللبانة ١٣٨ .

(٧٦)المصدر نفسه.

(٧٧)ديوان عبد المجيد ابن عبدون :ق٣١.

(٧٨)المصدر نفسه.

المصادر والمراجع

- الادب الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين، د. احسان عباس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .
- أدب النكبة في التراث العربي – العصر العباسي : محمد حمدان ، منشورات اتحاد الكُتاب العرب ، ٢٠٠٤م .
- الأعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام ،عباس بن ابراهيم المراكشي ،فاس ١٩٣٦م .
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب : ابن عذارى المراكشي ، تح : كولون وليفي بروفنسال ، ١٩٤٨م .
- لبيئة الاندلسية واثرها في شعر ملوك الطوائف ، سعد اسماعيل شلبي ، دار الفكر ، دمشق ، د.ت .
- تاريخ الفكر الأندلسي : آنخل جبنثالث بالنيثا ، تر : حسين مؤنس ، ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥م .
- جمهرة اللغة : أبو بكر محمد بن محسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١ه) ، تح : رمزي منير بعلبكي ، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧م .
- الحلة السيراء : لابن الابار ، تح : حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
- دراسات اندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة : أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩م.
- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي : الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٧٩م .
- ديوان ابن اللبانة ، تح : د. منجد مصطفى بهجت ، ط٢ ، مركز البحوث في الجامعة الاسلامية ، ماليزيا ، ٢٠٠٦م .
- ديوان ابن حمديس ، تح : احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠م .
- ديوان المعتمد بن عباد ، تح : احمد محمد بدوي ، وحامد عبدالمجيد ، المطبعة الاميرية بالقاهرة ، ١٩٥١م .
- الذخيرة : لابن بسام ،تح سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان،١٩٩٨م .
- رثاء المدن والممالك في الشعر الاندلسي – اتجاهاته وخصائصه الفنية ، دراسة : د. مهجة أمين الباشا ، شراع للدراسات والنشر ، دمشق ، ٢٠٠٣م .

- شعر عبد المجيد ابن عبدون : جمع وتحقيق: نزهة جعفر حسن الموسوي، مجلة التربية والعلم ، جامعة الموصل ، م٩ ، العددالثاني ، ٢٠٠٢م .
- الصورة الفنية في شعراء تمام : عبدالقادر الرباعي ، جامعة اليرموك ، الأردن ، د.ت .
- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس : محمد عبدالله عنان ، ط١، مطبعة لجنة الترجمة والنشر ، ١٩٦٤م .
- العمدة : لابن رشيق ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد، ط٢ ، مطبعة السعادة ، مصر، ١٩٥٥م .
- فنون بلاغية : د. أحمد مطلوب ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٩٧٥م .
- مختار الصحاح : زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (ت٦٣٦ه) ، تح: موفق الشيخ حمد ، ط٥ ، المكتبة العصرية ، الدار النموذجية ، ١٩٩٩م .
- مذكرات الأمير عبدالله آخر ملوك بني زيري بغرناطة ، شرح وتحقيق : ليفي بروفسال ، مطبعة دار المعارف بمصر ، ١٩٥٥م .
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب والأندلس : عبدالواحد المراكشي ، تح : محمد سعيد العريان ، مطابع شركة الاعلانات الشرقية ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
- معجم ديوان الأدب : أبو إبراهيم اسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت٥٣٥ه) ، تح : د. أحمد مختار ، مؤسسة الشعب للصحافة والطباعة ، القاهرة : ٢٠٠٣م .
- المغرب في حلى المغرب : علي بن موسى بن سعيد ، تح : شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٥م .
- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان : ابو العباس أحمد بن محمد بن خلكان ، تح : احسان عباس ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٤م .